بسم الله الرحمن الرحيم

فصل الشتاء

الجمعة : ٤/١١/١٤٢٢هـ

الحمد لله

فإن الزمان بليله ونهاره ، وشهوره وأعوامه ، آية من آيات الله ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً ، وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون ، إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون ﴾ كم ضرب الله في كتابه العزيز من الأمثال ، وذكر من الآيات ، لعل الناس يتقون أو يحدث لهم ذكرى ، الريح العقيم ، والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات ، وهذا وللأسف لا يزيد بعض الناس إلا بعداً ، وعن منهج الله إلا إعراضاً ، غرهم الإمهال ، وخدعتهم الآمال .

عباد الله : إن تقلب الأجواء من حر وبرد ، آية من آيات الله الكونية ، يقلب المسلم فيها طرفه ، ويكيف فيها نفسه ، ويعمل فيها فكره ، جاء الشتاء فأخذ الناس يتقون برده ، ويحتاطون من خطره ، ويتنافسون في التدثر ، بما سخر الله لهم من الأسباب ، لكن هناك أمراً غفل عنه الكثير ، وهو ربط هذا الأمر بأمر الآخرة ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر أصحابه في المناسبات ، كما عند البخاري ومسلم ، قال صلى الله عليه وسلم « اشتكت النار إلى ربها فقالت : يا رب أكل بعضي بعضاً ، فأذن الله لها بنفسين ، نفس في الشتاء ، ونفس في الصيف ، فهو أشد ما تجدون من الحر ، وأشد ما تجدون من الزمهرير »

أيها المسلمون : ما عبد الله عز وجل بمثل الخوف منه ، قال أبو سليمان الداراني – رحمه الله – : (أصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله عز وجل ، وكل قلب ليس فيه خوف من الله فهو قلب خرب).

ولقد حذر الله عباده من النار وكرر الوعيد بها ، وضرب لها من الأمثال في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله الأمين صلوات الله وسلامه عليه ما تشيب منه الولدان ، وتتقطع منه القلوب والأفئدة ، لكن أين المعتبرون ؟ وأين الخائفون من الله حق خوفه؟ هل انتبهت من نومها القلوب الغافلة ؟ وهل ثابت إلى رشدها النفوس السادرة ؟ أين الخوف من النار الذي نال الملائكة المقربين في قول الحق سبحانه وتعالى ﴿ ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ﴾ . وأين الخوف من النار الذي لحق الأنبياء والمرسلين في قوله تعالى ﴿ ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إله آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا ﴾ . وأين الخوف من النار الذي أقض مضاجع الصالحين فـ﴿ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون * وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ ، ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ﴾ .

إن الناس كلهم حريصون على راحة أنفسهم وأهليهم ، ويوفرون لهم الوسائل الواقية من الحر والبرد ، وإذا ما اشتدت عليهم سموم الحر رأيناهم يتنقلون إلى المصائف ، ليتقوا حر الدنيا وبردها ، لكنهم لا يقيمون وزنا لنار جهنم ، ولا يعملون على وقاية أنفسهم ومن تحت أيدهم منها ، والله عز وجل قد خاطب عباده المؤمنين وحذرهم منها بقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾

وإن من علامات الشقوة العمل للدنيا والإعراض عن الآخرة .

تفر من الهجير وتتقيه *** فهلا من جهنم قد فررتا

جاء الشتاء حتى يعتبر العقلاء ويتذكروا نعمة الله عليهم . يجب أن نستشعر تيسير تلك النعم التي يتقى بها البرد وشدته وأن نحمد الله تعالى عليها ، ونشكره على تسخيرها وسهولة الحصول عليها .

وكما قيل : إن النعم بشكرها تقر ، وبكفرها تفر.

﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ ، فبشكر النعم تدوم على أصحابها في الدنيا ويبقى شكرها ذخرا لهم في الآخرة ، كما قال صلى الله عليه وسلم « ما أنعم الله على عبد نعمة فحمد الله عليها ، إلا كان ذلك الحمد أفضل من تلك النعمة » .

إن وفرة تلك النعم من ملابس الشتاء ووسائل التدفئة وغيرها ، تنسي كثيرا من الناس إخوانا لهم من المسلمين قد حرموا كثيرا من أساسيات الحياة فضلا عن كمالياتها ، فلا بد أن يتذكر كل منا أولئك المسلمين الذي يفترشون الأرض ويلتحفون السماء ، وقد عصفت بهم الحروب والفتن من كل حدب وصوب ، فهم مسلمون لهم حق الأخوة الإيمانية . وعلى المسلم أن يتفقد من حوله من المسلمين ويستقرىء أخبارهم ، فلعله أن يكون سببا لتفريج كربة من كرب الدنيا عن بيت من بيوت المسلمين ، منعهم الحياء من مد يد السؤال إلى الناس ، فهناك مسلمون لا يحلم أحدهم بالحصول على الضروريات ، قد تكون عندنا مما يفضل من الكماليات ، فكم يملك أحدنا من الثياب على اختلاف أنواعها وألوانها ؟ وكم تملك نساؤنا من عشرات الأكسية والأحذية ، وكم نلبس أطفالنا في العام الواحد من أصناف اللباس

فالله الله في تذكر حال المعدمين من تلك النعم ، والمبادرة في مد يد العون إليهم .

﴿ وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾ .

الخطبة الثانية:

جاء الشتاء وقد رتب بعض الناس أوقاتهم فجعلوا ساعات ليله الطويلة مطية للسهر والسمر فيما لا يرضي الله تعالى ، فقتلوا أوقاتا من أعمارهم وأهدروها فيما يضر ولا ينفع ، وإن أحسنا الظن بهم ، فقد أهدرها فيما لا يضر ولا ينفع .

إن ضريبة السهر الطويل تأخير صلاة الفجر أو إضاعتها ، فضلا عن أمر الأسرة وعدم وجوده بقربها طيلة أو غالب ليالي الشتاء ، و هذا أمر مشاهد .

إن من مميزات الشتاء ، قصر نهاره ، فهو قصير بارد ، لا يحس الإنسان فيه بتعب ولا عطش في الغالب ، وحري بنا أن نستغل بعض أيامه بالصوم ليسر عمله وكثرة أجره . قال صلى الله عليه وسلم : « من صام يوما في سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا ». وقال صلى الله عليه وسلم « من صام يوما في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقا كما بين السماء والأرض » . فليحرص المسلم على كثرة التزود من هذه العبادة مادام في حالة صحته وعافيته ، فالأجر كثير والعمر قصير، وقد يتثاقل بعض الناس الصوم في غير رمضان ويزيد الشيطان ذلك بأن صيام التطوع يؤجر فاعله ولا يعاقب تاركه ، فلا داعي أن تتعب نفسك بصيام غير مفترض عليك ، نعم قد يثقل الشيطان ذلك على العبد ، لكن إذا جاهد الإنسان نفسه بصدق ، وحملها على فعل الخيرات حبب الله إليه الإيمان وزينه في قلبه ، وكره إليه الفسوق والعصيان وجعله من الراشدين ، ويزيد هذا الخير أن في النوافل فوائد عظمية أخرى فهي سبب من أسباب محبة الله تعالى كما ورد في صحيح البخاري في الخبر القدسي « وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه وما يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه » ومن فضل النوافل أيضا أنها ترقع ما نقص من الفرائض ، فقد ورد في الحديث أن العبد يحاسب على الصلاة فإذا كملت قيل : « انظروا هل لعبدي من تطوع» ؟ وكذلك في الصيام او كما ورد في الحديث .

عباد الله جاء الشتاء فجاء معه الاحتساب وجاء معه تحمل المكاره وما يتعب النفس من الجهد البدني فإسباغ الوضوء في ليلة باردة على المكاره من أسباب رفع الدرجات ووضع الخطيئات ، كما جاءت بذلك النصوص ، ومفارقة لذة النوم وجهاد النفس على صلاة الفجر خاصة من أسباب ورود الأجر والثواب على العبد ، ففي حديث اختصام الملأ الأعلى قال : وما الكفارات ؟ قلت : نقل الأقدام إلى الجمعات ، والجلوس في المساجد بعد الصلوات ، وإسباغ الوضوء على الكريهات . رواه أحمد والترمذي

وقال صلى الله عليه وسلم « بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة » .

فهنيئاً لك يا من جاهدت نفسك واستعنت بالله وخرجت متوضأ متحملا شدة البرد ابتغاء مرضاة ربك .

عباد الله :

جاءنا الشتاء فلنقف قليلا ونتساءل : هل نحن أكرم على الله ممن مضى من آباء وأجداد ؟ هل نحن أعز عند الله من أولئك القوم الذين لم تمنعهم قلة ذات اليد ولا شدة البرد من مجاهدة النفس على طاعة الله ؟

نعم جاءنا الشتاء ليذكرنا أن هذه النعم ليست وقفا عليها وليخبرنا أننا لسنا أحق بها ممن كان قبلنا ، وليحذرنا من أن تكون هذه النعم استدراجاً لبعضنا ، فاللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولها .